

323797 - حكم الصلاة خلف من يقول: "الرسول نور الوجود، وسبب كل موجود".

السؤال

إمام مسجدنا قال مثل هذا الكلام: " سيدنا محمد ﷺ هو نور الوجود، وسبب الوجود، مع العلم إنى لا أتذكر جيداً قوله لهذا الكلام، ربما قال غيره، لكنه يشبه هذا الكلام، فما حكم الصلاة خلفه؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً:

خلق الله تعالى الخلق لعبادته وتوحيده، كما قال سبحانه: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** الذاريات/56.

وعلى المؤمن أن يسعى لتحقيق هذه الغاية متبعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال " الجنيد بن محمد " : " الطرق كلها مسدودة إلا طريق من اقتفى آثار النبي صلى الله عليه وسلم " انتهى من "الاستقامة" (1/249).

ثانياً:

هذه العبارات التي يقولها الصوفية مما ظاهرها أنها مخالفة للكتاب والسنة- يمكن حمل بعضها على معانٍ صحيحة بشيء من التأويل.

فإذا قال هذا الصوفي:

إن النبي صلى الله عليه وسلم نور الوجود، فقد يكون مراده أي: منوره بالحق، فالحق مقصور عليه وعلى أتباعه، صلوات الله وسلامه عليه، فإن قصد هذا المعنى فهو حق.

أما إن قصد به النور الحقيقي، فهو غلوٌ وخطأ.

وكذلك إن قصد بقوله: إنه صلى الله عليه وسلم سبب الوجود، هو ما يذكرونه أن الدنيا خلقت لأجله صلى الله عليه وسلم،

فهذا أيضا له معنى صحيح ، فإن قُصد أنه سخرت له السماوات والأرض ، ونحو ذلك ، فهذا معنى صحيح .
ولا يصح في هذا المعنى حديث .

وإلا فهو خطأً وغلوا .

وانظر أجوبة الأسئلة رقم : (4509)، (23290).

قال "ابن تيمية" : " والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خُلِقَ مما يخلق منه البشر ؛ ولم يخلق أحد من البشر من نور ..

وقد ظهر فضل نبينا على الملائكة ليلة المعراج ، لما صار بمستوى يُسمع فيه صريف الأقلام ؛ وعلا على مقامات الملائكة ؛
والله تعالى أظهر من عظيم قدرته ، وعجيب حكمته ، من صالحى الآدميين ، من الأنبياء والأولياء : ما لم يظهر مثله من
الملائكة ، حيث جمع فيهم ما تفرق في المخلوقات .

فخلق بدنه من الأرض ، وروحه من الملائكة الأعلى . ولهذا يقال : هو العالم الصغير وهو نسخة العالم الكبير.

ومحمد سيد ولد آدم ، وأفضل الخلق وأكرمهم عليه .

ومن هنا قال من قال : إن الله خلق من أجله العالم ، أو إنه لولا هو لما خلق عرشاً ولا كرسياً ولا سماء ولا أرضاً ولا شمساً ولا
قمرًا.

لكن ليس هذا حديثاً عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، لا صحيحاً ولا ضعيفاً ، ولم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث عن
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، بل ولا يعرف عن الصحابة ، بل هو كلام لا يدري قائله.

ويمكن أن يفسر بوجه صحيح كقوله : (سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض) ، وقوله : (وسخر لكم الفلك لتجري في
البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا
نعمة الله لا تحصوها) ، وأمثال ذلك من الآيات التي يبين فيها أنه خلق المخلوقات لبني آدم .

ومعلوم أن لله فيها حكماً عظيمة غير ذلك ، وأعظم من ذلك ، ولكن يبين لبني آدم ما فيها من المنفعة وما أسبغ عليهم من
النعمة .

فإذا قيل : فعل كذا لكذا ، لم يقتض أن لا يكون فيه حكمة أخرى .

وكذلك قول القائل : لولا كذا ، ما خلق كذا ؛ لا يقتضي أن لا يكون فيه حكم أخرى عظيمة ، بل يقتضي إذا كان أفضل صالحى
بني آدم محمد ، وكانت خلقته غاية مطلوبة ، وحكمة بالغة مقصودة أعظم من غيره ؛ صار تمام الخلق ونهاية الكمال حصل

بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم.

والله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، وكان آخر الخلق يوم الجمعة ، وفيه خلق آدم وهو آخر ما خلق ..
وسيد ولد آدم هو محمد - صلى الله تعالى عليه وسلم - آدم فمن دونه تحت لوائه - .

قال صلى الله تعالى عليه وسلم (إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته) أي : كتبت نبوتي وأظهرت ،
لما خلق آدم قبل نفخ الروح فيه ، كما يكتب الله رزق العبد وأجله وعمله وشقي أو سعيد ، إذا خلق الجنين قبل نفخ الروح فيه .

فإذا كان الإنسان هو خاتم المخلوقات وآخرها ، وهو الجامع لما فيها ، وفاضله هو فاضل المخلوقات مطلقا ، ومحمد إنسان
هذا العين ، وقطب هذه الرحى ... فما ينكر أن يقال: إنه لأجله خلقت جميعها ، وإنه لولاه لما خلقت .

فإذا فسر هذا الكلام ونحوه ، بما يدل عليه الكتاب والسنة : قُبِلَ ذلك.

وأما إذا حصل في ذلك غلو من جنس غلو النصارى ، بإشراك بعض المخلوقات في شيء من الربوبية ؛ كان ذلك مردوداً غير
مقبول " ، انتهى من بتصرف "مجموع الفتاوى" (94 / 11 - 98).

على أن بعض العلماء كره ذلك مطلقا ، لئلا يؤدي للغلو ، وهذا ظاهر ، لا سيما مع ما عرف من حال القوم في غلوهم ، وقلة
انتباههم للمعنى الصحيح المقيد بما دل عليه الكتاب والسنة ، بل انعدام ذلك ، وندرة طروء المعنى الصحيح ببال القوم ؛ فتعين
الصرف عن الإطلاقات المجملة ، المحتملة من المعاني الباطلة ما هو معروف ؛ بل متبادر إلى أذهان الغلاة المشتغلين بنحو
ذلك من الكلام.

قال "ابن نجيم" في "البحر الرائق" (5 / 131) : " قال في التتارخانية وفي جواهر الفتاوى :

هل يجوز أن يقال : لولا نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لما خلق الله تعالى آدم ؟

قال هذا شيء يذكره الوعاظ على رءوس المنابر، يريدون به تعظيم محمد - عليه الصلاة والسلام - ، والأولى أن يحترزوا عن
أمثال هذا ، فإن النبي - عليه الصلاة والسلام - وإن كان عظيم المنزلة والمرتبة عند الله تعالى ، فإن لكل نبي من الأنبياء -
عليهم السلام - منزلة ومرتبة وخاصة ليست لغيره ؛ فيكون كل نبي أصلاً بنفسه " ، انتهى .

وينظر لمزيد الفائدة جواب السؤال رقم : (75395) .

ثالثاً :

وأما الصلاة خلفه ، فهذا يختلف باختلاف مراده ، وأعماله ، وقد ذكرنا أن ما يقوله له احتمال ، ولو على بعد .
فينظر إلى أعماله وأقواله الأخرى .

فإن كان الرجل ممن شأنه أن يقع في الشركيات ، كالأستغاثة بالقبور أو الأولياء أو دعائها فإنه لا يصلى خلفه ، لأن هذه الأفعال والأقوال شركية ، تخرج المسلم من دائرة الإسلام إلى الكفر ؛ حتى وإن كان الشخص المعين معذورا بجهل أو تأويل، فإنه ينبغي للعالم بحاله أن يترك الصلاة خلفه ، إنكارا عليه ، ولئلا يغتر بسكوت الناس عنه ، ومتابعتهم على ما يقول ويفعل.

وإن كانت أحواله إلى البدعة ما هو ، ولم يكن من شأنه أن يرتكب شيئا من الشركيات ، فلا بأس بالصلاة خلفه .

والذي ينبغي : الصلاة خلف إمام من أهل السنة والجماعة من أهل العلم والفضل ، فهو أفضل على كل حال ، إذا كان ممكنا .

وينظر : جواب السؤال رقم : (193896) ، (93150).

والله أعلم